في النظريات ذات الطابع الأيديولوجي والواقع أن بؤرة التركيز في التحليل الذي طرحه هذه النظرية لا ينصب على الدولة نفسها، أو يتعين أن يكون مسخراً، وفي سياق هذه الرؤية تصبح الوظيفة الأساسية للدولة هي العمل على حماية أمن المواطنين وحياتهم من الأخطار التي كانت تهددهم في ظل حالة الفطرة أو الطبيعة التي رفضوا استمرارها. دروباً مختلفة. يرى أن السلطة المطلقة هي وحدها القادرة على تحقيق الأمن المطلق للجميع. بل أكثر من ذلك فقد اعتقد لوك أن الدولة قد تشكل تهديداً لحيات الأفراد وحقوقهم بنفس السهولة التي قد تدافع بها عنها. وأن دورها يجب أن يقتصر إلى الحد اللازم لضبط إيقاع وتناغم الحياة الاجتماعية Ch. وتشارلز لنديلوم Dahl، ودون تدخل مباشر لصالح هذا الطرف أو ذاك إلا بالقدر اللازم للمحافظة على الصالح العام وغيرهم يعترفون بأن الدولة الصناعية الحديثة قد أصبحت أكثر تعقيداً وأقل حساسية واستجابة لضغوط ومطالب Lindblom والرأي العام، ومن ثم أقل حياداً أو انحيازاً للصالح العام، مما قد توجي به النظرية التعددية الكلاسيكية للوهلة الأولى.